



10 يناير 2020
بقلم: صادق أمين

قاعدة نبوية كريمة، وخلقٌ دعويٌّ جليل، وتصرفٌ إنساني جميل، وميراثٌ سلفي عزيز، يدعونا إلى أن نقف قليلاً، قبل أن ننفعل ونحتدّ، وبشتت بأحدنا الغضب، حين يترامى إلى مسامعه ما يسيئه، أو يظنه إساءةً في حد ذاته.

وكم موقف لإخوة كرام، نُسيء تقديره وتفسيره، ونقدم فيه سوءَ الظن، ونبني عليه استنتاجات كبيرة، وتتخذ على أساسه أحكامًا ظالمةً، وتتجاوز فيه حدودَ الأخوة والقرابة والجوار.. وتشرق بنا الظنون وتعرب، فتظلم في وجوهنا الدنيا، وتسودُّ في عيوننا كل جوانبها، وتضيق على رحابها أماننا الدنيا كلها، وما إن نظفر بمن يصغي لنا، حتى نبدأ ببث الهم والشكوى، والتفسيرات الظالمة، والتهديدات الصارمة، والتحليلات الفاسدة، والأحكام الغاشمة، التي تنال فيها من هذا الأخ، أو ذاك القريب، أو ذاك الجار.. فظللنا بهذا كله نفوسنا، قبل إخواننا وجيراننا.. حين نتجاوز هذه القاعدة، ونسأها في لحظة غضب، لا أساس لها، ولا مسوّغ.

فتأتي الصحوّة من هذه الغفلة، بعد أن نكون قد أتينا على أخضر العلاقة وبابسها، وعلى حلو الأخوة ومرارتها، فتبدو الأخوة ذاك الرباط الرباني العظيم، الذي امتنّ فيه الله - سبحانه - على عباده، حين قال: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: 103).. تبدو في حياتنا واهيةً ضعيفةً، لا وزن لها ولا قيمة، ولا تقوى على الصمود أمام وشاية كاذبة، أو معلومة ظنية، أو موقف بريء.

مسكينة علاقاتنا، حزينة أخوتنا..

مؤلمة أحوالنا.. فقيرة نفوسنا.. صحراء قاحلة أخلاقنا..

يوم لا نجد للصلح مكاناً.. يوم يستبد بنا الغضب..

يوم تفرق الآراء جمعنا.. وتشتت الأهواء صفوقنا.. وتعكّر الهموم صفوقنا..

يوم ننسى سنوات الودّ والصفاء.. وشهور التواصل واللقاء.. ولا أقول لحظات ذلك..

يوم تُذهب السيئات الحسنات، وتتقدم عليها..

وم تنتصر الأهواء والشهوات على العقل والإيمان.. فتنهزم المحبة، وتحل العداوة لأتفه الأسباب..

يوم نشرق مع نفوسنا ونغرب.. نركي نفوسنا وأخلاقنا، ونهزم إخواننا وأصدقاءنا، فنشتت عليهم، ولا نرى فيهم إلا ما تسوّله لنا نفوسنا، من سوء ظن، وقيح فعل..

وحين تتكشّف لنا الحقائق على وجهها، وندرك أننا كنا في معركة خاطئة، استسلمنا فيها لكثير من الهواجس والانفعالات، أوقعنا في شرك كثير من القرارات والتهديدات.. وكثير من التصريحات والتحليلات.. كم تبدو عندئذٍ صغارًا جدًّا جدًّا، تبدو في صورة تنعدم فيها أوزاننا، وتقل فيها عقولنا.. وتسكت فيها ألسنتنا، بل تخرس.. فلا نجد ما تعتذر فيه عن طيشها، وسوء فعلتها..!!

فهل أنقذت من هذه الورطة نفسك؟!

اعتماد قاعدة الأولين.. في التماس الأعذار، وتقديمها على الاتهام، وسوء التقدير والأحكام!!